الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: مدخل إلى الأدب المقارن (محاضرة)
الاختصاص: دراسات أدبية
السنة: الثانية ليسانس.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 03

مقومات البحث المقارن

I. عدّة الباحث المقارن:

يستند الباحث المقارن في عملية المقارنة على عدّة أدوات منها: [1]

1- تأريخ الأدب: على الباحث أن يتجهز بثقافة تاريخية كافية تمكّنه من وضعه الأحداث الأدبية في إطارها التاريخي، لذا كان مستحيلا على "بول هازار" درس " الثورة الفرنسية والآداب الإيطالية" 1910)، لو لم يعرف جيّداً تاريخ فرنسا وإيطاليا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

2- لكن الباحث المقارن، هو مؤرخ العلاقات الأدبية. إذن يجب أن يكون استعلامه وافياً عن الآداب في عدة بلدان. وهذه حقيقة بديهية.

3- هل من الملزم اتقانه قراءتها في لغتها الأم؟ السؤال مطروح، ليس فقط لكثرة اللّغات والقوى الانسانية، بل لأنّ الآثار الأجنبية لم تشتهر إلا بالترجمة. فكثيرون من الرومنطيقيين ذكروا "**غوتة**" وهم لا يعرفون الألمانية ، بل اكتفوا بما وصلهم منه مترجما.

من هنا: لا يمكن تقدير مدى تأثير "غوتة" عليهم إلاّ بعد تقدير الفارق في غوتة بين الموضوع والمترجم. إذن على المقارن أن يعرف عدّة لغات، ممّا يساعده على بحث أمور في لغتها الأم.

4- عليه، أخيراً أن يعرف كيف يجد معلوماته الأولى وكيف يقيم بيانا بمصادر الموضوع ومراجعه، وإن لم يكن هذا الأمر جامداً ومتشابهاً، فثمة أدوات عمل لا غنى عنها مطلقاً:

أ. الكتب البيبليوغرافية لمختلف الآداب.

ب. في الأدب القارن الصرف، يجب تتبع أحدث ما صدر من نشرات وعناوين.

ج. كتاب "الروزنامة الزمنية للآداب الحديثة" الصادر في اشراف بول فان تييغيم (1937)، والذّي يجمع لأربعة قرون (1500-1900) جدولاً شاملاً سنوياً للإنتاج الأدبي الأوروبي من، مثلاً، لعام (1702):

- في ألمانيا "ايفيجيني" لغوتة"، وفاة نوفاليس صاحب "أناشيد الليل".

1- ينظر: ماريوس فرنسوا غويار، الأدب المقارن، ص:15- 17.

- في انكلترا: "أناشيد شعراء الحدود السكوتلندية" لوالتر سكوت.
- في فرنسا "دلفين" لمدام دوستايل، "عبقرية المسيحية" و "رينيه" لشاتوبريان.
- في إيطاليا : آخر رسائل جاكوبو أورتيس" لفاسكولا.

د. كتاب "أطر الأدب المقارن" لورنر فيدريخ (1954).

هـ. مجلات الأدب المقارن في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة.

ومن خلال أدوات العمل هذه، يتمكّن المقارن، في فترة معينة يشاؤها، من الأحاطة بمسألة وما يكتنفها من أعمال مواكبة لها.

II. ميدان الأدب المقارن:

يستقي المقارن منابع فكره من عدّة ميادين، نذكر أهمّها:[2]

1- عناصر الكوزموبولتية: لكل عصر كتبه وأدباؤه الذين يسهمون في تعريف الآداب والبلدان الأجنبية، وفيهم يجد الأدب المقارن أول أهداف البحث.

أ. الكتب: على المقارن أن يبحث للكاتب عن آثار مطبوع في لغة يقرأها، فالترجمة دليل دامغ على الأصالة؛ فرسائل فولتير في الانجليزية تظهر تطوّره وتبرز المستوى الذي لم يستطع أن يتخطاه، والاستشهادات المستخدمة في أية دراسة، تعطي حلولا للمسائل الصعبة التي لها أن تمس كرامة الأديب، هذا بالنسبة للأديب.

أما بالنسبة للجماعة فليس من وسيلة إلاّ القواميس والكتب اللّغوية والتربوية، كالقاموس الايطالي الفرنسي الذي وضعه الأب أنطوني علم 1735 واعيد طبعه مرارا عديدة، هو دليل قاطع على انتشار الايطالية في فرنسا خلال القرن الثامن عشر.

وتأتي الترجمات في كل عصر دليل آخر على انتشار المعارف عن الآثار الأجنبية ، فالمقارن إذا شاء أن يعرف ما كان الفرنسيون أيام الثورة الفرنسية يعرفون غوتة، عليه أن يقيم لائحة بالطبعات الفرنسية الصادرة لغوتة، وهذا عمل بحثي بحت، يليه عمل تحليلي ونقدي.

الآثار النقدية، منبع آخر للمعلومات عن الأدب الأجنبي. قد يلصقها القارئ أحيانا بالآثار نفسها. مما قرأ عنها في مقتطفات أو ترجمات. لكن من عمل الباحث المقارن أيضا أن يجمع مثلا جميع الكتب والمقالات الصادرة خلال فترة معينة في فرنسا عن شيلي أو كيتس، ثم تحليلها وتقدير قيمتها ومدى تأثيرها.

2- ينظر: المرجع السابق، ص:18- 22.

ب.الأدباء: حين يكون للمؤلف وزن مثل "فولتير" فمن الضروري، في دراسة "الرسائل الانكليزية"، معرفة كيف عاش في انكلترا، وما كان يعرف عن لغتها و بلادها وناسها، يقف الأدب المقارن مع الذين كانوا ممثلين لبلادهم في بلاد أخرى، أو لثقافة أجنبية في بلادهم.

2- ثروة الأنواع: الأنواع التي تنشأ وتنمو وتموت، غالبا دون مؤثر ظاهر، ما عادت تظهر مأساة شعرية فرنسية من خمسة فصل كما من قبل؟ لماذا في القرن السادس عشر غنى جميع الشعراء حبهم في قصائد من 14 بيتا؟

ثمة إذن أنواع اندثرت وجاء أدب القرن العشرين بأطر جديدة محا القديمة ولا بدّ للجديدة هي الأخرى أن تنقرض فالرواية الفرنسية في الخمسينات، لا أطر جامدة لها، كما المأساة الكلاسيكية، ومع هذا تصرّف الروائيون الفرنسيون بأنواع جديدة ومتطورة، فبدت عندهم التطابقية، والحوار الداخلي ورمزية الأحلام وجميعها مادة للمقارن كي يجد فيها الجذور الأجنبية.

فالبحث في ثروة هذه الأنواع عملية تاريخية لكنها معاصرة، لأنّه يخضع لشرطين: **نوع محدد، وبيئة متقبلة** غير محدّدة في الزمان والمكان، فيتتبع المقارن نوعا أدبيا معروف الجذور في أدب اجنبي، كأن يدرس مثلاً الكوميديا الاسبانية في فرنسا خلال القرن السادس عشر، أو الاقتباسات الانكليزية للمأساة الفرنسية الكلاسيكية، لكنه قد يتعمق أكثر، فيدرس التاريخ الأوروبي للرواية التاريخية في القرن التاسع عشر، أو قصيدة الـ 14 بيتاً في القرن السادس عشر.

3- ثروة المواضيع: هناك نماذج في الآداب الغربية تتغير رموزها ومعانيها مع تغير العصر وأدبائه، أما النماذج فتبقى هي، يسمي الألمان هذا النوع من الأعمال "تاريخ المواضيع"، وأدرجوا الأدب المقارن على هذا الخط، والمدرسة الفرنسية يساندها "بينيديتو كروتشي"، كانت تحكم على هذه الأعمال بأنّها جدّ جافة ومرصودة على التنقيب البحت والواقع أنّ هذه الأعمال لا تتطلب غالبا إلاّ مجرّد إحصاءات ضعيفة التعليق والحواشي، ولكن كل امر يتوقف على مقدرة الأديب والموضوع الذي اختاره.